بَابٌ
مَا جَاءَ فِي حِمَايَةِ النَّبِيِّ ﷺ حِمَى التَّوْحِيدِ وَسَدِّهِ طُرُقَ الشِّرْكِ

عَنْ عَبْدِ اللّهِ بنِ الشِّخِّيرِ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ؛ قَالَ: «انْطَلَقْتُ فِي وَفْدِ بَنِي عَامِرٍ إِلَى رَسُولِ اللّهِ ﷺ، فَقُلْنَا: أَنْتَ سَيِّدُنَا. فَقَالَ: «السَّيِّدُ اللّهُ ....

مناسبة الباب للتوحيد

لما تكلم المؤلف رحمه الله فيما مضى من كتابه على إثبات التوحيد، وعلى ذكر ما ينافيه أو ينافي كماله؛ ذكر ما يحمي هٰذا التوحيد، وأن الواجب سد طرق الشرك من كل وجه حتى في الألفاظ ليكون خالصاً من كل شائبة.

* * *

قوله: «انطلقت في وفد بني عامر»: الظاهر أن هٰذا الوفد قدم على النبي ﷺ في العام التاسع؛ لأن الوفود كثرت في ذٰلك العام، ولذٰلك يُسمّى عام الوفود.

قوله: «أنت سيدنا»: السيد: ذو السُّؤْدَد والشرف، والسؤدد معناه: العظمة والفخر وما أشبهه. وسيد: صفة مشبهة على وزن فَيْعِل؛ لأن الياء الأولى زائدة.

قوله: «السيد الله»: لم يقل ﷺ: سيدكم كما هو المتوقع، حيث إنه رد على قولهم سيدنا لوجهين:

تَبَارَكَ وَتَعَالَى». ....

الوجه الأول: إرادة العموم المستفاد من (أل)؛ لأن (أل) للعموم، والمعنى: أن الذي له السيادة المطلقة هو الله ـ عز وجل ـ؛ ولٰكن السيد المضاف يكون سيدًا باعتبار المضاف إليه، مثل: سيد بني فلان، سيد البشر، وما أشبه ذٰلك.

الوجه الثاني: لئلا يتوهم أنه من جنس المضاف إليه؛ لأن سيد كل شيء من جنسه. والسيد من أسماء الله تعالى، وهي من معاني الصمد؛ كما فسر ابن عباس الصمد بأنه الكامل في علمه وحلمه وسؤدده[(١)] وما أشبه ذٰلك. ولم ينههم ﷺ عن قولهم: «**أنت سيدنا**»، بل أذن لهم بذٰلك؛ فقال: قولوا بقولكم أو بعض قولكم، لٰكن نهاهم أن يستجريهم الشيطان فيترقوا من السيادة الخاصة إلى السيادة العامة المطلقة؛ لأن سيدنا سيادة خاصة مضافة، و«السيد» سيادة عامة مطلقة غير مضافة.

قوله: «**تبارك**»: قال العلماء: معنى تبارك؛ أي: كثرت بركاته وخيراته، ولهٰذا يقولون: إن هٰذا الفعل لا يوصف به إلا الله؛ فلا يقال: تبارك فلان؛ لأن هٰذا الوصف خاص بالله. وقول العامة: (أنت تباركت علينا) لا يريدون بهٰذا ما يريدونه بالنسبة إلى الله ـ عز وجل ـ، وإنما يريدون أصابنا بركة من مجيئك، والبركة يصح إضافتها إلى الإنسان إذا كان أهلًا لذٰلك، قال أسيد بن حضير حين نزلت آية التيمم بسبب عِقْد عائشة الذي ضاع منها: «**ما هٰذه بأول بركتكم يا آل أبي بكر**»[(٢)].

---

(١) أخرجه: ابن جرير (٣٠/ ٧٤٤).
وأورده السيوطي في «الدر المنثور» وعزاه لابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ في «العظمة»، والبيهقي في «الأسماء والصفات».

(٢) أخرجه: البخاري في (التيمم، باب حدثنا عبد الله بن يوسف، ١/ ١٢٥)، ومسلم في (الحيض، باب التيمم، ١/ ٢٧٩)؛ عن عائشة رضي الله عنها.

قُلْنَا: وَأَفْضَلُنَا فَضْلاً، وَأَعْظَمُنَا طَوْلاً. فَقَالَ: «**قُولُوا بِقَوْلِكُمْ أَوْ بَعْضِ قَوْلِكُمْ، وَلاَ يَسْتَجْرِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ**». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ(١).

قوله: «وأفضلنا»: أي: فضلك أفضل من فضلنا.

قوله: «وأعظمنا طَولاً»: أي: أعظمنا شرفًا وغنى، والطَّوْل: الغنى، قال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ﴾ [النساء: ٢٥] ويكون بمعنى العظمة، قال تعالى: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ﴾ [غافر: ٣]؛ أي: ذي العظمة والغنى.

قوله: «قولوا بقولكم أو بعض قولكم»: الأمر للإباحة والإذن كما سبق.

وقوله: «قولوا بقولكم»: يعني: قولهم: أنت سيدنا أو أنت أفضلنا، وما أشبه ذٰلك.

وقوله: «أو بعض قولكم»: يحتمل أن يكون شكًّا من الراوي، وأن يكون من لفظ الحديث؛ أي: اقتصروا على بعضه.

قوله: «ولا يستجرينكم الشيطان»: استجراه بمعنى: جذبه وجعله يجري معه؛ أي: لا يستميلنكم الشيطان ويَجْذِبَنَّكم إلى أن تقولوا قولاً منكرًا؛ فأرشدهم ﷺ إلى ما ينبغي أن يفعل، ونهاهم عن الأمر الذي لا ينبغي أن يفعل؛ حمايةً للتوحيد من النقص أو النقض. وقال في النهاية: «**لا يستجرينكم الشيطان**»؛ أي: لا يستغلبنكم فيتخذكم جريًا؛ أي: رسولاً ووكيلاً.

---

(١) سبق (ص٣٤١).

....

وعلى التفسيرين؛ فمراد النبي ﷺ حماية التوحيد وسد كل طريق يوصل إلى الشرك، والحماية من المنكر تعظم كلما كان المنكر أعظم وأكبر أو كان الداعي إليه في النفوس أشد. ولهٰذا تجد أن باب الشرك حماه النبي عليه الصلاة والسلام حماية بالغة حتى سد كل طريق يمكن أن يكون ذريعة إليه؛ لأنه أعظم الذنوب، وأيضًا باب الزنا حمي حماية عظيمة، حتى منعت المرأة من التبرج وكشف الوجه وخلوتها بالرجل بلا محرم وما أشبه ذٰلك؛ لئلا يكون ذٰلك ذريعة إلى الزنا؛ لأن النفوس تطلبه، وفي باب الربا أيضًا حمي الربا بحماية عظيمة، حتى إن الرجل ليعطي الرجل صاعًا طَيِّبًا من البر بصاعين قيمتهما واحدة، ويكون ذٰلك ربًا محرمًا، مع أنه ليس فيه ظلم. فالشرك قد يكون من الأمور التي لا تدعو إليه النفوس كثيرًا لٰكنه أعظم الظلم؛ فالشيطان يحرص على أن يوصل ابن آدم إلى الشرك بكل وسيلة؛ فحماه النبي ﷺ حماية تامة محكمة حتى لا يدخل الإنسان فيه من حيث لا يشعر، وهٰذا هو معنى الباب الذي ذكره المؤلف.

* **تنبيه**: جرى شُراح هٰذا الحديث على أن النبي ﷺ نهاهم عن قول سيدنا؛ فحاولوا الجمع بين هٰذا الحديث وبين قوله ﷺ: «**أنا سيد ولد آدم**»[1]، وقوله: «**قوموا إلى سيدكم**»[2]، وقوله في الرقيق: «**وليقل سيدي ومولاي**»[3] بواحد من ثلاثة أوجه:

الأول: أن النهي على سبيل الكراهة والأدب، والإباحة على سبيل الجواز.

(١) سبق (١/ ٢٦٩).

(٢) أخرجه: (البخاري في المغازي، باب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب، ٣/ ١١٩)؛ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٣) سبق (ص٣٤١).

....

الثاني: أن النهي حيث يخشى منه المفسدة، وهي التدرج إلى الغلو والإِباحة إذا لم يكن هناك محذور.

الثالث: أن النهي بالخطاب؛ أي: أن تخاطب الغير بقولك: أنت سيدي أو سيدنا، بخلاف الغائب؛ لأن المُخاطَب ربما يكون في نفسه عجب وغلو وترفع، ثم إن فيه شيئًا آخر، وهو خضوع هٰذا المُتَسيِّد له وإذلال نفسه له بخلاف ما إذا جاء من الغير، مثل: «**قوموا إلى سيدكم**»، أو على سبيل الغيبة؛ كقول العبد: قال سيدي ونحو ذٰلك، لٰكن هٰذا يرد عليه إباحته ﷺ للرقيق أن يقول لمالكه: سيدي.

والذي يظهر لي أن لا تعارض أصلًا؛ لأن النبي ﷺ أذن لهم أن يقولوا بقولهم، لٰكن نهاهم أن يستجريهم الشيطان بالغلو مثل (السيد)؛ لأن السيد المطلق هو الله تعالى، وعلى هٰذا؛ فيجوز أن يقال: سيدنا وسيد بني فلان ونحوه، ولٰكن بشرط أن يكون المُوَجَّه إليه السيادة أهلًا لذٰلك، أما إذا لم يكن أهلًا كما لو كان فاسقًا أو زنديقًا؛ فلا يقال له ذٰلك حتى ولو فرض أنه أعلى منه مرتبة أو جاهًا، وقد جاء في الحديث: «**ولا تقولوا للمنافق سيد؛ فإنكم إذا قلتم ذٰلك أغضبتم الله**»[(١)]، فإذا كان أهلًا لذٰلك وليس هناك محذور؛ فلا بأس به، وأما إن خشي المحذور أو كان غير أهل؛ فلا يجوز. والمحذور: هو الخشية من الغلو فيه.

* * *

(١) أخرجه: أحمد (٥/٣٤٦)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٧٦٠)، وأبو داود في (الأدب، باب لا يقول المملوك ربي وربتي، ٥/٢٥٧)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٢٤٤)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة»، والحاكم (٤/٣١١) ـ وقال: «صحيح الإِسناد، ولم يخرجاه» ـ؛ عن بريدة رضي الله عنه.
وقال النووي في «الرياض» (١٧٢٨): «رواه أبو داود بإسناد صحيح».

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ: «أَنَّ نَاسًا قَالُوا: يَا رَسُولَ اللّٰهِ! يَا خَيْرَنَا وَابْنَ خَيْرِنَا! وَسَيِّدَنَا وَابنَ سَيِّدِنَا! فَقَالَ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ! قُولُوا بِقَوْلِكُم، وَلاَ يَسْتَهْوِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ، أَنا مُحَمَّدٌ عَبْدُ اللّٰهِ وَرَسُولُهُ،** ....

قوله: «قالوا: يا رسول الله!»: هٰذا النداء موافق لقوله تعالى: ﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾ [النور: ٦٣]؛ أي: لا تنادوه كما ينادي بعضكم بعضًا؛ فتقولوا: يا محمد! ولٰكن قولوا: يا رسول الله! أو: يا نبي الله! وفي الآية معنى آخر: أي إذا دعاكم الرسول؛ فلا تجعلوا دعاءه إياكم كدعاء بعضكم بعضًا إن شئتم أجبتم وإن شئتم أبيتم؛ فهو كقوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤]، وعلى المعنى الأول تكون «دعاء» مضافة إلى المفعول، وعلى الثاني تكون مضافة إلى الفاعل.

قوله: «يا خيرنا»: هٰذا صحيح؛ فهو خيرهم نسبًا ومقامًا وحالاً.

قوله: «وابن خيرنا»: أي: في النسب لا في المقام والحال. وكذٰلك يقال في قوله: **«وابن سيدنا»**.

قوله: «قولوا بقولكم»: سبق القول فيه.

قوله: «ولا يستهوينكم الشيطان»: أي: لا يَسْتَمِيلَنكم الشيطان فَتَهْوَوْه وتتبعوا طرقه حتى تبلغوا الغلو، ونظيره قوله تعالى: ﴿كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَـٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ﴾ [الأنعام: ٧١].

قوله: «أنا محمد عبد الله ورسوله»: محمد اسمه العلم، وعبد الله ورسوله وصفان له. وهٰذان الوصفان أحسن وأبلغ وصف يتصف به الرسول ﷺ، ولذٰلك وصفه الله تعالى بالعبودية في أعظم المقامات؛ **فوصفه بها في مقام إنزال القرآن عليه، قال تعالى**: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ

....

عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ [الفرقان: ١]، ووصفه بها في مقام الإسراء، قال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾ [الإسراء: ١]، ووصفه بها في مقام المعراج، قال تعالى: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾ [النجم: ١٠]، ووصفه بها في مقام الدفاع عنه والتحدي، قال تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ [البقرة: ٢٣].

وكذٰلك بالنسبة للأنبياء؛ كقوله تعالى: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء: ٣]، وهٰذه العبودية خاصة، وهي أعلى أنواع الخاصة. والعبودية لله من أجل أوصاف الإنسان؛ لأن الإنسان إما أن يعبد الله أو الشيطان، قال تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ [يس: ٦٠، ٦١]، قال ابن القيم:

هربوا من الرق الذي خُلقوا له ... فبُلُوا برق النفس والشيطان

وقال الشاعر:

لا تَدْعُني إلا بيا عبدها ... فإنه أشرف أسمائي

«ورسوله»: أي: المُرْسَل من عنده إلى جميع الناس؛ كما قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨].

ورسول الله ﷺ في قمة الطبقات الصالحة، قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩]، والنبيون فيهم الرسول ﷺ، بل هو أفضلهم، ومن عبارة المؤلف رحمه الله في الرسول ﷺ: **«عبد لا يُعبد، ورسول لا يُكذَّب»**.

مَا أُحِبُّ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوْقَ مَنْزِلَتِي الَّتِي أَنْزَلَنِي اللّٰهُ عَزَّ وَجَلَّ». رَوَاهُ النَّسَائِيُّ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ[1].

وقد تَطَرَّف في الرسول ﷺ طائفتان:

ـ طائفة غلت فيه حتى عبدته، وأعدته للسراء والضراء، وصارت تعبده وتدعوه من دون الله.

ـ وطائفة كذبته، وزعمت أنه كذاب، ساحر، شاعر، مجنون، كاهن، ونحو ذٰلك.

وفي قوله: «**عبد الله ورسوله**» رد على الطائفتين.

قوله: «**ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي**»: «**ما**»: نافية، و«**أن**» وما دخلت عليه في تأويل مصدر مفعول أحب؛ أي: ما أحب رِفْعَتَكم إياي فوق منزلتي؛ لا في الألفاظ، ولا في الألقاب، ولا في الأحوال.

قوله: «**التي أنزلني الله**»: يستفاد منه أن الله تعالى هو الذي يجعل الفضل في عباده، وينزلهم منازلهم.

* * *

(١) أخرجه: أحمد (٣/ ٢٤١)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٢٤٩، ٢٥٠)، وابن حبان (٦٧٠٧)، وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٢٥٢)؛ عن أنس رضي الله عنه.
وقال ابن عبد الهادي في «الصارم المنكي» (ص٢٤٦): «إسناده صحيح على شرط مسلم».

● **فيهِ مَسائِلُ:**

الأولى: تَحْذِيرُ النَّاسِ مِنَ الغُلُوِّ.

الثانية: مَا يَنْبَغِي أَنْ يَقُولَ مَنْ قِيلَ لَهُ: «أَنْتَ سَيِّدُنَا».

الثالثة: قَوْلُهُ: «**لاَ يَسْتَجْرِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ**». مَعْ أَنَّهُمْ لَمْ يَقُولُوا إِلاَّ الحَقَّ.

الرابعة: «**مَا أُحِبُّ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوْقَ مَنْزِلَتِي**».

● **فيه مسائل:**

● **الأولى: تحذير الناس من الغلو:** تؤخذ من قوله: «**ولا يستجرينكم الشيطان**»، ووجهه: أن الرسول ﷺ جعل هٰذا من استجراء الشيطان، والإنسان يجب عليه أن يحذر كل ما كان من طرق الشيطان.

● **الثانية: ما ينبغي أن يقول من قيل له: أنت سيدنا:** وتؤخذ من قوله: «**السيد الله**»؛ فينبغي أن يقول من قيل له ذٰلك: «السيد الله».

● **الثالثة: قوله: «لا يستجرينكم الشيطان» مع أنهم لم يقولوا إلا الحق:** ظاهر كلام المؤلف أن هٰذا من استجراء الشيطان؛ فهٰذه الكلمة يحتمل أن معناها أن ما قلتم من استجراء الشيطان. ويحتمل أن المعنى: قولوا بهٰذا القول، ولٰكن إياكم أن تغلوا، فإن هٰذا من استجراء الشيطان، وهٰذا ظاهر الحديث كما سبق.

● **الرابعة: قوله: «ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي»:** أي: إني أكره أن ترفعوني فوق منزلتي، وهي العبودية والرسالة؛ ففيها تواضعه ﷺ.

* * *

بَابٌ
مَا جَاءَ فِي قَوْلِ اللهِ تَعَالَى:

﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾[1] الآية.

قوله: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟﴾: الضمير يعود على المشركين، و﴿قَدَرُوا۟﴾: عَظّموا؛ أي: ما عظموا الله حق تعظيمه حيث أشركوا به ما كان من مخلوقاته.

قوله: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾: يحتمل أن تكون الواو للحال؛ أي: ما قدروا الله حق قدره في هذه الحال. ويحتمل أن تكون للاستئناف؛ لبيان عظمة الله ـ عز وجل ـ، وهذا أقوى؛ لأنه يعم هذه الحال وغيرها. والقبضة: هي ما يقبض باليد، وليس المراد بها المُلْك كما قيل، نعم، لو قال: والأرض في قبضته؛ لكان تفسيرها بالملك محتملاً.

قوله: ﴿جَمِيعًا﴾: حال من الأرض؛ فيشمل بحارها وأنهارها وأشجارها وكل ما فيها، الأرض كلها جميعًا قبضته يوم القيامة، والسماوات على عظمها وسعتها مطويات بيمينه، قال الله ـ عز وجل ـ: ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

قوله: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾: هذا تنزيه له عن كل نقص وعيب، ومما ينزه عنه هذه الأنداد، ولهذا قال: ﴿وَتَعَٰلَىٰ﴾؛ أي: ترفع.

---

(١) سورة الزمر: الآية ٦٧.

عَنِ ابنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قَالَ: «**جَاءَ حَبْرٌ مِنَ الأَحْبَارِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! إِنَّا نَجِدُ أَنَّ اللَّهَ يَجْعَلُ السَّمَاوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالأَرَضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الخَلْقِ عَلَى إِصْبَعٍ، فَيَقُولُ: أَنَا المَلِكُ. فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ** ....

﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾: أي: عن كل شرك يشركونه به، سواء جعلوا الخالق كالمخلوق أو العكس.

* * *

قوله: «حبر»: الحَبْرُ: هو العالم الكثير العلم، والحبر يشابه البحر في اشتقاق الحروف، ولهٰذا كان العالم أحيانًا يسمى بالحبر وأحيانًا بالبحر.

قوله: «**إنا نجد**»: أي: في التوراة.

قوله: «**فضحك النبي ﷺ**»: ولولا ما بعدها لاحتملت أن تكون إنكارًا؛ لأن من حَدَّثك بحديث لا تطمئن إليه ضحكت منه، لٰكنه قال: «تصديقًا لقول الحبر»؛ فكانت إقرارًا لا غير، ويدل لذٰلك قوله: ثم قرأ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ . . .﴾ الآية؛ فهٰذا يدل على أنه ﷺ أقره واستشهد لقوله بآية من كتاب الله، فضحكه واستشهاده تقرير لقول الحبر، وسبب الضحك هو سروره، حيث جاء في القرآن ما يُصدِّق ما وجده هٰذا الحبر في كتبه؛ لأنه لا شك أنه إذا جاء ما يصدق القرآن؛ فإن الرسول ﷺ سوف يُسرّ به، وإن كان الرسول ﷺ يعلم علم اليقين أن القرآن من عند الله، لٰكن تضافر البينات مما يُقوّي الشيء، أرأيت أسامة بن زيد وأباه زيد بن حارثة؟ هل كان عند النبي ﷺ شك في أن أسامة ابنٌ لزيد؟

....

الجواب: ليس عنده في ذٰلك شك، ولما مرّ بهما مُجَزّز المُدْلِجي ـ وهو من أهل القيافة ـ وقد تغطيا بقطيفة لم يبد منهما إلا أقدامهما، فنظر إلى أقدامهما، فقال: إن هٰذه الأقدام بعضها من بعض، فَسُر النبي ﷺ سرورًا عظيمًا حتى دخل على عائشة مسرورًا تبرق أسارير وجهه، وقال: **«ألم تري إلى مجزز المدلجي نظر إلى أسامة بن زيد وإلى زيد فقال: إن هٰذه الأقدام بعضها من بعض»**(١)؛ فالمهم أن الرسول ﷺ دخل تبرق أسارير وجهه؛ لأن في ذٰلك تأييدًا للحق، وكان المشركون يقدحون في أسامة بن زيد وأبيه لاختلاف ألوانهما، فكان أسامة أسود شديد السواد وأبوه زيد شديد البياض، لٰكن الأمر ليس كما قالوا، بل هم كاذبون في ذٰلك، واختلاف اللون لا يوجب شبهة إلا لذي هوى؛ فلعل المخالف في اللون نزعه عرق.

قوله: «أصبع»: واحدة الأصابع، وهي مثلثة الأول والثالث؛ ففيها تسع لغات، والعاشر أُصْبُوع، وفي هٰذا يقول الناظم:

وهَمْزُ أَنْمُلةٍ ثَلِّثْ وثَالِثَهُ   التِّسْعِ في أُصْبُع واخْتُم بِأَصْبُوعِ

قوله: «أنا الملك»: هٰذه الجملة تفيد الحصر؛ لأنها اسمية معرّفة الجزئين؛ ففي ذٰلك اليوم لا ملك لأحد، قال تعالى: ﴿يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦]، وكل الناس الملوك منهم والمملوكون على حد سواء يحشرون حفاة عراة غرلاً، وبهٰذا يظهر ملكوت الله ـ عز وجل ـ في ذٰلك اليوم ظهورًا بيّنًا؛

(١) أخرجه: البخاري في (الفرائض، باب القائف، ٤/ ٢٤٤)، ومسلم في (الرضاع، باب العمل بإلحاق القائف الولد، ٢/ ١٠٨١)؛ عن عائشة رضي الله عنها.

حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ؛ تَصْدِيقًا لِقَوْلِ الحَبْرِ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ الآية[1].

لأنه ـ سبحانه ـ ينادي: لمن الملك اليوم؟ فلا يجيبه أحد، فيجيب نفسه: ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾.

وقوله: «المَلِك»: أي: ذو السلطان، وليس مجرد المتصرف، بل هو المتصرف فيما يملك على وجه السلطة والعلو، وأما «**المالك**» فدون ذٰلك، ولهٰذا يمتدح نفسه تعالى بأنه الملك، وقوله تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤] فيها قراءتان: «**ملك، ومالك**»؛ ليتبين بذٰلك أنه ملك مالك. فَمُلْك الله تعالى متضمن لكمال السلطان والتدبير والملك، بخلاف غيره؛ فإن من ملوك الدنيا من يكون ملكًا لا يملك التصرف، ومنهم المالك وليس بملك.

قوله: «حتى بدت نواجذه»: أي: ظهرت، ونواجذ: جمع ناجذ، وهو أقصى الأضراس. وهٰذا الضحك من النبي ﷺ تقرير لقول الحبر، ولهٰذا قال ابن مسعود: «**تصديقًا لقول الحبر**»، ولو كان منكرًا ما ضحك الرسول ﷺ ولا استشهد بالآية، ولقال له: كذبت كما كذب الذين ادعوا أن الذي يزني لا يرجم، ولٰكنه ضحك تصديقًا لقول الحبر وسرورًا بأن ما ذكره موافقٌ لما جاء به القرآن الذي أوحي إلى محمد ﷺ.

قوله: ثم قرأ: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ. . .﴾ الآية: هٰذا معنى الآية التي لا تحتمل غيره، وأن السماوات مطويات كطي السجل للكتب بيمينه؛ أي: يده تبارك وتعالى؛ لأن ذٰلك

(١) أخرجه: البخاري في (تفسير سورة الزمر، باب قول الله تعالى: **﴿وما قدروا الله حق قدره﴾**، ٣/ ٢٨٥، وفي التوحيد، (٧٤١٤، ٧٤١٥، ٧٤٥١، ٧٥١٣)، ومسلم في (صفات المنافقين، باب صفة القيامة، ٤/ ٢١٤٧).

....

تفسيره ﷺ، وتفسيره في الدرجة الثانية من حيث الترتيب، لٰكنه كالقرآن في الدرجة الأولى من حيث القبول والحجة. وأما تفسير أهل التحريف؛ فيقول بعضهم: «**قبضته**»؛ أي: في قبضته وملكه وتصرفه، وهو خطأ؛ لأن الملك والتصرف كائن يوم القيامة وقبله. وقول بعضهم: «**السماوات مطويات**»؛ أي: تالفة وهالكة؛ كما تقول: انطوى ذكر فلان؛ أي: زال ذكره.

و«**بيمينه**»؛ أي: بقسمه؛ لأنه قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمٰن: ٢٦، ٢٧]؛ فجعلوا المراد باليمين القسم. . . إلى غير ذٰلك من التحريفات التي يلجأ إليها أهل التحريف، وهٰذا لظنهم الفاسد بالله، حيث زعموا أن إثبات مثل هٰذه الصفات يستلزم التمثيل، فصاروا ينكرون ما أثبته الله لنفسه، وما أثبته رسوله وسلف الأمة بشبهات يدعونها حججًا. فيقال لهم: هل أنتم أعلم بالله من الله؟ إن قالوا: نعم؛ كفروا، وإن قالوا: لا؛ قلنا: هل أنتم أفصح في التعبير عن المعاني من الله؟ إن قالوا: نعم؛ كفروا، وإن قالوا: لا؛ خُصِموا، وقلنا لهم: إن الله بَيَّن ذٰلك أبلغ بيان بأن الأرض جميعًا قبضته يوم القيامة، والرسول ﷺ أقر الحبر على ما ذكر فيما يطابق الآية، وهل أنتم أنصح من الرسول ﷺ لعباد الله؟ فسيقولون: لا. فإذا كان كلامه تعالى أفصح الكلام، وأصدقه، وأَبْيَنَه، وأعلم بما يقول؛ لزم علينا أن نقول مثل ما قال عن نفسه، ولسنا بمذنبين، بل الذنب على من صرف كلامه عن حقيقته التي أراده الله بها.

* **ومن فوائد الحديث**: إثبات الأصابع لله ـ عز وجل ـ لإقراره ﷺ هٰذا الحبر على ما قال.

....

والإِصبع إصبع حقيقي يليق بالله ـ عز وجل ـ؛ كاليد، وليس المراد بقوله: «**على إصبع**» سهولة التصرف في السماوات والأرض؛ كما يقوله أهل التحريف، بل هٰذا خطأ مخالف لظاهر اللفظ والتقسيم، ولأنه ﷺ أثبت ذٰلك بإقراره، ولقوله ﷺ: «**إن قلوب بني آدم بين أصبعين من أصابع الرحمٰن**»(١). وقوله: «بين أصبعين» لا يلزم من البَيْنِيّة المُمَاسّة، ألا ترى قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١٦٤]، والسحاب لا يمس الأرض ولا السماء وهو بينهما، وتقول: عنيزة بين الزلفي والرس، ولا يلزم أن تكون متصلة بهما، وتقول: شعبان بين ذي القعدة وجمادى، ولا يلزم أن يكون مواليًا له؛ فَتَبيّن أن البينية لا تستلزم الاتصال في الزمان أو المكان، وكما ثبت عنه ﷺ: أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ يكون قِبَلَ وجه المصلي(٢)، ولا يلزم من المقابلة أن يكون بينه وبين الجدار أو السترة التي يصلي إليها؛ فهو قبل وجهه وإن كان على عرشه، ومثال ذٰلك: الشمس حين تكون في الأفق عند الشروق أو الغروب؛ فإن من الممكن أن تكون قبل وجهك وهي في العلو.

فتبين بهٰذا أن هٰؤلاء المحرفين على ضلال، وأن من قال: إن طريقتهم أعلم وأحكم؛ فقد ضل. ومن المشهور عندهم قولهم: طريقة

---

(١) أخرجه: مسلم في (القدر، باب كل شيء بقدر، ٤/ ٢٠٤٥)؛ عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، وتمامه: «كقلب واحدٍ يصرفه حيث يشاء. ثم قال رسول الله ﷺ: اللهم! مصرف القلوب! صرف قلوبنا على طاعتك».

(٢) أخرجه: البخاري في (الصلاة، باب حك البزاق باليد في المسجد، ١/ ١٤٩)؛ عن ابن عمر رضي الله عنه.
وأخرجه: مسلم في (الزهد، باب حديث جابر الطويل، ٤/ ٢٣٠٣)؛ عن جابر رضي الله عنه.

....

السلف أسلم وطريقة الخلف أعلم وأحكم، وهٰذا القول على ما فيه من التناقض قد يوصل إلى الكفر؛ فهو:

أولاً: فيه تناقض؛ لأنهم قالوا: طريقة السلف أسلم، ولا يعقل أن تكون الطريقة أسلم وغيرها أعلم وأحكم؛ لأن الأسلم يستلزم أن يكون أعلم وأحكم؛ فلا سلامة إلا بعلم بأسباب السلامة وحكمة في سلوك هٰذه الأسباب.

ثانيًا: أين العلم والحكمة من التحريف والتعطيل؟

ثالثًا: يلزم منه أن يكون هٰؤلاء الخالفون أعلم بالله من رسوله ﷺ وأصحابه؛ لأن طريقة السلف هي طريقة النبي ﷺ وأصحابه.

رابعًا: أنها قد تصل إلى الكفر؛ لأنها تستلزم تجهيل النبي ﷺ وتسفيهه؛ فتجهيله ضد العلم، وتسفيهه ضد الحكمة، وهٰذا خطر عظيم. فهٰذه العبارة باطلة حتى وإن أرادوا بها معنى صحيحًا؛ لأن هٰؤلاء بحثوا وتعمقوا وخاضوا في أشياء كان السلف لم يتكلموا فيها؛ فإن خوضهم في هٰذه الأشياء هو الذي ضرهم وأوصلهم إلى الحَيْرة والشك، وصدق النبي ﷺ حين قال: «**هلك المتنطعون**»(١)، فلو أنهم بقوا على ما كان عليه السلف الصالح ولم يتنطعوا؛ لما وصلوا إلى هٰذا الشك والحيرة والتحريف، حتى إن بعض أئمة أهل الكلام كان يتمنى أن يموت على عقيدة أُمّه العجوز التي لا تعرف هٰذا الضلال، ويقول بعضهم: ها أنا أموت على عقيدة عجائز نيسابور. وهٰذا من شدة ما وجدوا من الشك

---

(١) أخرجه: مسلم في (العلم، باب هلك المتنطعون، ٤/ ٢٠٥٥)؛ عن ابن مسعود رضي الله عنه.

....

والقلق والحيرة، ولا تظن أن العقيدة الفاسدة يمكن أن يعيش الإنسان عليها أبدًا، لا يمكن أن يعيش الإنسان إلا على عقيدة سليمة، وإلا ابتلي بالشك والقلق والحيرة، وقد قال بعضهم: أكثر الناس شكًّا عند الموت أهل الكلام، وما بالك ـ والعياذ بالله ـ بالشك عند الموت، يختم للإنسان بضد الإيمان.

لٰكن لو أخذنا العقيدة من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ بسهولة وبما جرى عليه السلف، ونقول كما قال الرازي وهو من علمائهم ورؤسائهم: رأيت أقرب الطرق طريقة القرآن: أَقْرَأ في الإثبات: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]؛ يعني: فأثبت، وأقرأ في النفي: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١] ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠]، ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي؛ لأنه أقر قبل هذا الكلام، فقال: لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية؛ فما رأيتها تروي غليلاً ولا تشفي عليلاً، ووجدت أقرب الطرق طريقة القرآن[(١)].

والحاصل أن هٰؤلاء المنكرين لِما جاء في الكتاب والسنة من صفات الله ـ عز وجل ـ اعتمادًا على هٰذا الظن الفاسد أنها تقتضي التمثيل قد ضلوا ضلالاً مبينًا؛ فالصحابة رضي الله عنهم هل ناقشوا الرسول ﷺ في هٰذا؟ والذي نكاد نشهد به إن لم نشهد به أنه حين يمر عليهم مثل هٰذا الحديث يقبلونه على حقيقته، لٰكن يعلمون أن الله لا مثل له؛ فيجمعون بين الإثبات وبين النفي.

إذًا موقفنا من هٰذا الحديث الذي فيه إثبات الأصابع لله ـ عز وجل ـ أن نقر به ونقبله، وأن لا نقتصر على مجرد إمراره بدون معنى فنكون

(١) انظر: أول الجزء الأول (ص٢١).

وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ: «وَالجِبَالُ وَالشَّجَرُ عَلَى إِصْبَعٍ، ثُمَّ يَهُزُّهُنَّ فَيَقُولُ: أَنَا المَلِكُ، أَنَا اللّٰهُ»(١).

بمنزلة الأميين الذين لا يعلمون الكتاب إلا أماني، بل نقرؤه ونقول: المراد به أصبع حقيقي يجعل الله عليه هٰذه الأشياء الكبيرة، ولٰكن لا يجوز أبدًا أن نتخيل بأفهامنا أو أن نقول بألسنتنا: إنه مثل أصابعنا، بل نقول: الله أعلم بكيفية هٰذه الأصابع؛ فكما أننا لا نعلم ذاته المقدسة؛ فكذٰلك لا نعلم كيفية صفاته، بل نكل علمها إلى الله ـ سبحانه وتعالى ـ.

* * *

قوله: «ثم يهزهن»: أي: هزًّا حقيقيا؛ ليبين للعباد في ذٰلك الموقف العظيم عظمته وقدرته، وكان الرسول ﷺ يقرأ هٰذه الآية ويقبض أصابعه ويبسطها؛ فصار المنبر يتحرك ويهتز(٢) لأنه ﷺ كان يتكلم بهٰذا الكلام وقلبه مملوء بتعظيم الله تعالى.

فإن قلت: هل نفعل بأيدينا كما فعل النبي ﷺ؟

فالجواب: إن هٰذا يختلف بحسب ما يترتب عليه؛ فليس كل من شاهد أو سمع يتقبل ذهنه ذٰلك بغير أن يشعر بالتمثيل؛ فينبغي أن نكف لأن هٰذا ليس بواجب حتى نقول: يجب علينا أن نبلغ كما بلغ الرسول ﷺ بالقول والفعل، أما إذا كنا نتكلم مع طلبة علم أو مع إنسان مكابر ينفي هٰذا ويريد أن يحول المعنى إلى غير الحقيقة؛ فحينئذ نفعل كما فعل الرسول ﷺ.

فلو قال قائل: إن الله سميع بصير، لٰكن قال: سميع بلا سمع وبصير بلا بصر، مع أن الرسول عليه الصلاة والسلام حين قرأ قوله

---

(١) أخرج هذه الرواية: مسلم في (صفات المنافقين: باب صفة القيامة، ٤/٢١٤٧).

(٢) أخرجه: أحمد ومسلم بمعناه.

وَفِي رِوَايَةٍ لِلْبُخَارِي: «يَجْعَلُ السَّمَاوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الخَلْقِ عَلَى إِصْبَعٍ»(١). أَخْرَجَاهُ.

تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٨] وضع إبهامه على أذنه والتي تليها على عينه وأبو هريرة حين حدث به كذلك(٢)؛ فهذا الإنسان الذي يقول: إن الله سميع بلا سمع بصير بلا بصر نقول له هكذا. وكذلك الذي ينكر حقيقة اليد ويقول: إن الله لا يقبض السماوات بيمينه، وأن معنى قبضته؛ أي: في تصرفه؛ فهذا نقول له كما فعل الرسول ﷺ. فالمقام ليس بالأمر بالسهل، بل هو أمر صعب ودقيق للغاية؛ فإنه يخشى من أن يقع أحد في محذور كان بإمكانك أن تمسك عنه، وهذا هو فعل الرسول ﷺ في جميع تصرفاته إذا تأملتها، حتى الأمور العملية قد يؤجلها إذا خاف من فتنة أو من شيء أشد ضررًا؛ كما أَخَّر بناء الكعبة على قواعد إبراهيم خوفًا من أن يكون فتنة لقريش الذين أسلموا حديثًا(٣).

قوله: «والماء والثرى على إصبع»: هذا لا ينافي قوله: **«الأرضين على أصبع»**؛ لأنه يقال: **«الماء والثرى على إصبع»**؛ أي: الأرض كلها على إصبع، ويراد بالإصبع الجنس، وإلا لتناقض مع معنى الحديث الذي قبله:

---

(١) أخرجها: البخاري في (التفسير، باب **﴿وما قدروا الله حق قدره﴾**، ٣/ ٢٨٥).

(٢) أخرجه: أبو داود في (السنة، باب في الجهمية، ٥/ ٩٦، ٩٧)، وابن خزيمة في «التوحيد» (ص٤٢، ٤٣)، والحاكم (١/ ٢٤) ـ وقال: «صحيح، ولم يخرجاه، وقد احتج مسلم بحرملة بن عمران وأبي يونس، والباقون متفق عليهم»، ووافقه الذهبي على شرط مسلم، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص١٧٩)، وابن حبان (١٧٣٢ ـ موارد).
وأورده السيوطي في «الدر المنثور»، (٢/ ١٧٥)، وعزاه أيضًا لابن المنذر وابن أبي حاتم؛ عن أبي هريرة رضي الله عنه.
وانظر: «تحفة الأشراف» (١١/ ٩٥) (رقم ١٥٤٦٧)، و«جامع الأصول» (٧/ ٥٣).

(٣) أخرجه: البخاري في (الحج، باب فضل مكة وبنيانها، ١/ ٤٨٨)، ومسلم في (الحج، باب نقض الكعبة، ٢/ ٩٦٨)؛ عن عائشة رضي الله عنها.

وَلِمُسْلِمٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ مَرْفُوعًا: «**يَطْوِي اللّٰهُ السَّمَاوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ الْيُمْنَى، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟ ثُمَّ يَطْوِي الأَرَضِينَ السَّبْعَ**، ....

«**الشجر على إصبع، والماء على إصبع، والثرى على إصبع**»؛ إذ النكرة إذا كرِّرت بلفظ النكرة؛ فالثاني غير الأول غالبًا، وإذا كررت بلفظ المعرفة؛ فالثاني هو الأول غالباً، فيقال: الماء والثرى كناية عن الأرض كلها، أو إن الماء والثرى على إصبع وسكت عن الباقي؛ إما اختصارًا أو اقتصارًا.

* * *

قوله: «ولمسلم عن ابن عمر مرفوعًا: «يطوي الله السماوات. . .»: سبق معنى هٰذا الحديث، وأن المراد بالطّي الطي الحقيقي.

قوله: «ثم يقول: أنا الملك»: يقول ذٰلك ثناء على نفسه ـ سبحانه ـ، وتنبيهًا على عظمته الكاملة وعلى ملكه الكامل، وهو السلطان؛ فهو مالك ذو سلطان، وهٰذه الجملة كلا جزأيها معرفة، وإذا كان المبتدأ والخبر كلاهما معرفة؛ فإن ذٰلك من طرق الحصر؛ أي: أنا الذي لي الملكيّة المطلقة والسلطان التام لا ينازعني فيهما أحد.

قوله: «أين الجبارون؟»: الاستفهام للتحدي، فيقول: أين الملوك الذين كانوا في الدنيا لهم السلطة والتجبر والتكبر على عباد الله؟ وفي ذٰلك الوقت يحشرون أمثال الذر يطأهم الناس بأقدامهم.

قوله: «يطوي الأرضين السبع»: أشار الله في القرآن إلى أن الأرضين سبع، ولم يَرد العدد صريحًا في القرآن، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ١٢]، والمماثلة هنا لا تصح إلا في العدد؛ لأن الكيفية تتعذر المماثلة فيها، وأما السُّنة؛ فقد صَرّحت بعدة أحاديث بأنها سبع.

ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِشِمَالِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا المَلِكُ، أَيْنَ الجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ المُتَكَبِّرُونَ؟»[(١)].

قوله: «ثم يأخذهن بشماله»: كلمة (شمال) اختلف فيها الرواة؛ فمنهم من أثبتها، ومنهم من أسقطها، وقد حكموا على من أثبتها بالشذوذ؛ لأنه خالف ثقتين في روايتها عن ابن عمر. ومنهم من قال: إن ناقلها ثقة، ولكنه قالها من تصرفه[(٢)]. وأصل هٰذه التخطئة هو ما ثبت في «صحيح مسلم»: أن الرسول ﷺ قال: **«المقسطون على منابر من نور على يمين الرحمٰن، وكلتا يديه يمين»**[(٣)]، وهٰذا يقتضي أنه ليس هناك يد يمين ويد شمال.

ولكن إذا كانت لفظة «شمال» محفوظة؛ فهي عندي لا تنافي **«كلتا يديه يمين»**؛ لأن المعنى أن اليد الأخرى ليست كيد الشمال بالنسبة للمخلوق ناقصة عن اليد اليمنى، فقال: **«كلتا يديه يمين»**؛ أي: ليس فيها نقص، ويؤيد هٰذا قوله في حديث آدم: **«اخترت يمين ربي وكلتا يديه يمين مباركة»**[(٤)]، فلما كان الوهم يذهب إلى أن إثبات الشمال؛ يعني: النقص في هٰذه اليد دون

---

(١) أخرجه: مسلم في (صفات المنافقين، باب صفة القيامة، ٤/٢١٤٨).

(٢) قال البيهقي في «الأسماء والصفات» (ص٣٢٤): «ذكر الشمال فيه تفرد به عمر بن حمزة عن سالم، وقد روى هٰذا الحديث نافع وعبيد الله بن مقسم عن ابن عمر، ولم يذكرا فيه الشمال، ورواه أبو هريرة رضي الله عنه وغيره عن النبي ﷺ؛ فلم يذكر أحد منهم الشمال، وروي ذكر الشمال في حديث آخر غير هٰذه القصة إلا أنه ضعيف بمرة، تفرد بأحدهما جعفر بن الزبير، وبالآخر يزيد الرقاشي، وهما متروكان، وكيف يصح ذٰلك وصح عن النبي ﷺ أنه سمى كلتا يديه يمين؟! وكأن من قال ذٰلك أرسله من لفظه على ما وقع له، أو على عادة العرب في ذكر الشمال في مقابلة اليمين».
وانظر أيضًا: «التذكرة» للقرطبي (ص٢١٦)، «فتح الباري» (١٣/٣٩٦)، «الأنوار البهية» (١/٢٣٥).

(٣) أخرجه: مسلم في (الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل، ٣/١٤٥٨)؛ عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

(٤) أخرجه: الترمذي مطولاً في (التفسير، باب الأمر بالكتابة والشهود، ٩/٨٨) ـ وقال: «حسن غريب» ـ، والحاكم مختصرًا (٤/٢٦٣) ـ وصححه، ووافقه الذهبي ـ، وابن أبي =

وَرُوِيَ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ؛ قَالَ: «مَا السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرَضُونَ السَّبْعُ فِي كَفِّ الرَّحْمٰنِ إِلاَّ كَخَرْدَلَةٍ فِي يَدِ أَحَدِكُمْ»(١).

الأخرى؛ قال: «**كلتا يديه يمين**»، ويؤيده أيضًا قوله: «**المقسطون على منابر من نور على يمين الرحمٰن**»؛ فإن المقصود بيان فضلهم ومرتبتهم، وأنهم على يمين الرحمٰن ـ سبحانه ـ. وعلى كلٍّ؛ فإن يديه ـ سبحانه ـ اثنتان بلا شك، وكل واحدة غير الأخرى، وإذا وصفنا اليد الأخرى بالشمال؛ فليس المراد أنها أقل قوة من اليد اليمنى، بل كلتا يديه يمين. والواجب علينا أن نقول: إن ثبتت عن رسول الله ﷺ؛ فنحن نؤمن بها ولا منافاة بينها وبين قوله: «**كلتا يديه يمين**» كما سبق، وإن لم تثبت؛ فلن نقول بها.

* * *

قوله: «في كف الرحمٰن»: هكذا ساقه المؤلف والذي في ابن جرير: «في يد الله» ففيما ساقه المؤلف إثبات الكف لله تعالى إن كان السياق محفوظًا وإلا ففيه إثبات اليد. أما الكف فقد ثبت في أحاديث أخرى صحيحة.

قوله: «إلا كخردلة»: هي حبة نبات صغيرة جدًّا، يضرب بها المثل في الصغر والقلة، وهٰذا يدل على عظمته ـ سبحانه ـ، وأنه ـ سبحانه ـ لا يحيط به شيء، والأمر أعظم من هٰذا التمثيل التقريبي؛ لأنه تعالى لا تدركه الأبصار، ولا تحيط به الأفهام.

= عاصم في «السنة» (٢٠٤، ٢٠٥).
وصححه الألباني؛ كما في تعليقه على «المشكاة» (٣/ ١٣٢٢).

(١) أخرجه: ابن جرير (٢٤/ ١٧).
وفي إسناده عمرو بن مالك النكري.
قال ابن حجر في «تهذيب التهذيب» (٨/ ٩٦): «ذكره ابن حبان في الثقات، وقال: مات سنة تسع وعشرين ومئة، وقال: يعتبر حديثه من غير رواية ابنه عنه، يخطئ ويغرب».
وقال الشيخ سليمان بن عبد الله؛ كما في «إبطال التنديد» (ص١٧٠): «وهٰذا الإسناد في نقدي صحيح».